رهان
مع إبليس

رهان مع إبليس
رواية
رضا الهجرسي
الطبعة الأولي ٢٠١٣

الغلاف : أسامة علام
المراجعة اللغوية : محمد عبد الغفار
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان
المدير العام / د: اسلام فتحي

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٥٩٦٦
الترقيم الدولي : 978-977-6412-34-7

الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

رهان
مع إبليس

رواية

رضا الهجرسي

الفصل الأول

جلس طلاب السنة الثانية بكلية الآداب جامعة القاهرة بقاعة المحاضرات وهم يتطلعون بلهفة وشوق إلى باب الدخول كلهفة مسلمي الأرض لرؤية هلالي رمضان والعيد..

هلت عليهم الدكتورة أحلام السخاوي أستاذة علم النفس كالبدر في تمامه..

ألقت تحية الصباح مع ابتسامتها الرقيقة المحببة إلى كل من ينظر إلى وجهها جميل الملامح في رقة ورقي..

أخذت الدكتورة أحلام تتنقل ببصرها بين طلابها إلى أن التقت عيناها عيني أميرة..

أميرة أحب وأقرب طلابها إلى قلبها على الرغم من فارق الجيل الذي يفصل بينهما..

تخطت الدكتورة الثلاثين عاما..

أميرة في العشرين من عمرها..

حدثت كيمياء بينهما أذابت الفوارق السنية والاجتماعية والعلمية والطبقية..

عندما التقت عيونهما زادت ابتسامتها وحيَّتها بإيماءة رقيقة من رأسها، ردتها أميرة بإشارة من يدها بحماس وحب..

ثبتت الدكتورة على السبورة لوحة مكتوبة عليها العناوين الرئيسية لمحاضرتها:

الحاجات والسلوك الصحي..

تعريف الحاجة وطبيعتها..

هل الحاجة سيكولوجية أم فسيولوجية؟

هل هي غريزية أم مكتسبة؟

تستدير مواجهةً طلابها ثم تبدأ في إلقاء محاضرتها وهي تشير بيدها في اتجاه اللوحة وفي صوت رقيق مليء بالثقة وقوة الشخصية على الرغم من رقته:

- محاضرتنا اليوم عن الحاجات والسلوك الصحي..

ورأي مورفي وتعريف موري عن وجود قوى في المخ تنظم الإدراك الحسي و..

ترفع أميرة يدها عاليا..

بابتسامة ودود توجه لها الدكتورة وجهها وفي لهجة معاتبة:

- نحن لم نبدأ محاضرتنا بعد يا أميرة حتى ترفعي يدك للسؤال.

تقف أميرة منتصبة في حماس:

- حضرتك وعدتِنا في المحاضرة الماضية أننا سوف نكمل مناقشة أهم حاجة يحتاجها الإنسان..

الحب..

على الرغم من أن جيلنا يؤمن أن الحب الرومانسي لعصر الفرسان وأمير

الأحلام على حصانه الأبيض وروميو وجوليت قد دخلا المتحف وحلت مكانهما في زماننا هذا المصلحة بين الولد والبنت..

وقف أحد الطلاب متحدثا في لهجة حادة، يدل مظهره على عسر حالته الواضح على ملابسه الرخيصة ونحافة جسده.. وفي غضب:

- حضرتك الأهم من الحب والكلام الفارغ هذا.. وضحي لنا عملية الخلق اللي حضرتك ذكرتيها في كتابك..

على الأقل نستفيد منه في المقرر..

ينقسم الطلاب إلى فريقين: فريق يؤيد التحدث عن الحب كأهم حاجات الإنسان..

والآخر يريد مناقشة عملية الخلق من كتاب الدكتورة..

أشارت الدكتورة بيدها طالبة منهم الهدوء..

وفي نبرة هادئة:

- نعم.. بالفعل لقد قلت إن أهم حاجة في حياة الإنسان السوي هي الحب..

لكن هناك شرطا وجوبيا ومهما وجوهريا لا يمكننا إغفاله..

وهو وجوب إشباع رغبات الإنسان المادية أولا..

من مأكل ومسكن وملبس..

لكن جيلكم للأسف الشديد انحصرت طموحاته عند إشباع رغباته المادية..

وحصر الحب في إشباع رغباته الجنسية فقط..

يصرخ الطالب في لهجة استهزائية مريرة:

- وهل وجد جيلنا المأكل والملبس والمسكن ولم يحب؟

ردت ولم تفارقها ابتسامتها وبعد أن أشارت للطالب بالجلوس:

- لأن جيلكم بالغ في طلباته وطموحاته المادية: السيارة والموبيل.. و..

و... ويكفي هذا..
دعونا نكمل محاضرتنا أولا..
بعدها نفتح باب المناقشة الحرة..
اتفقنا؟!
صمت جميع الطلاب على مضض ولهفة في انتظار اللحظة التي ستُعلِن فيها الدكتورة عن انتهاء محاضرتها..
وعندما أعلنت عن انتهاء المحاضرة..
انقلبت قاعة المحاضرات إلى صراخ وهرج ومرج وانقسم الطلاب مرة أخرى إلى عدة فرق..
فرقة - على رأسها أميرة - تطلب مناقشة حاجة الإنسان الملحة للحب..
وأخرى تريد مناقشة عملية الخلق..
وثالثة تريد مناقشة احتياجات الإنسان الوجوبية لحياة سوية.. فوجئ الجميع بصوت طالبة عالي النبرة.. حاد.. واضح صارخ.. جلجل في القاعة وسمعه الجميع:
- نريد مناقشة نظرية الأضلاع المتجاذبة في رواية حضرتك الأخيرة..
انفجر جميع مَن بقاعة المحاضرات في ضحك هستيري.. وازدادت ابتسامة الدكتورة أحلام وانتظرت إلى أن هدأ الجميع..
نظرت إلى الفتاة في ود قائلة:
- هذا ممكن أن يكون مدخلا ممتازا للمناقشة..
نبدأ بعملية الخلق كمقدمة طبيعية لنظرية الأضلاع المتجاذبة..
من منكم قرأ الرواية ولديه فكرة عن النظرية؟
تقفز أميرة واقفة في حماس ونبرة قوية:
- أنا.. أنا يا دكتورة أحفظُها عن ظهر قلب..
ويمكنني سردها لحضرتك كاملة..

تشير لها الدكتورة أن تبدأ.
تبدأ أميرة في لهجة واثقة وفي لغة خطابية دون أن تتلعثم:
- نظرية الأضلاع المتجاذبة..
من رواية الدكتورة أحلام السخاوي.. الأضلاع المتجاذبة..
ونصها كالآتي:
خلق الله آدم ثم خلق أنيسة له من ضلعه هي حواء..
وإن كل رجل له حواؤه التي خُلقت من ضلعه، فإذا التقيا في أي مكان أو زمان يحدث تجاذب بينهما في اللاشعور وينجذب الضلع إلى باقي أضلاعه ويحدث الاكتمال والاندماج بين الأضلاع ويُخلق ساعتها كيان واحد كما خُلق في البدء..
لكن في صورة جسد رجل وجسد امرأة..
ولا يمكن لهذا الكيان بعد أن اكتملت أضلاعه أن يَفصل بينهما شيء.. تحت أي ضغوط دنيوية أو مادية مهما كانت قوتها.. أو شراستها..
لا يفرق بينهما إلا الموت.
تبتسم الدكتورة في سعادة وفخر بتلميذتها النجيبة:
- «برافو» عليكِ يا أميرة..
أنتِ تحفظينها عن ظهر قلب أيتها الشقية.
- لست أحفظها فقط.. بل أنا مؤمنة بها جدا جدا أيضا..
تجلس أميرة وقد احمرت وجنتاها خجلا.. ونظرات أحلام وابتسامتها التي تلاحقها تزيدها خجلا وارتباكا:
- اجلسي يا أميرة..
والآن عرفتم النظرية التي ستكون المدخل لنا لندخل منها باختصار على عملية الخلق..
فبعد أن خلق الله الكون خلق الملائكة ووضع على رأسهم جبريل

وجعلهم الله رمزا للخير الخالص والطاعة..
ثم خلق الجن والشياطين وكان على رأسهم إبليس وجعله الله رمزا خالصا للشر والعصيان..
ثم خلق الإنسان ووهبه القدرة على فعل الخير والشر ثم ترك له الاختيار، وغرس فيه القدرة على التفريق بينهما..
يسمع الجميع رنين الجرس معلنا انتهاء وقت المحاضرة.
تلملم الدكتورة أحلام أوراقها بسرعة وهي تنظر في ساعتها. وتغادر مسرعة قاعة المحاضرات..
تتجه إلى سيارتها وتلحق بها أميرة في محاولة مواصلة النقاش، تعتذر لها أحلام برقة؛ لأنها على موعد بنادي اليخوت؛ لأنها المسئولة عن إدارة ندوة عن أحد الأفلام السينمائية التي ستحضرها نجمة السينما المشهورة سهير حمدي ويجب أن تكون في شرف استقبالها وإدارة الندوة.
عرضت الدكتورة على أميرة أن تأتي معها فوافقت أميرة على الفور لولعها وحبها الشديد للنجمة سهير حمدي وأفلامها.
دارت حول السيارة مسرعة وجلست بجانبها.
في الطريق إلى النادي أخذت بنتا حواء تتبادلان حديث المجاملة في حب وود أذاب ما بينهما من فارق في السن والمركز الاجتماعي والعلمي والطبقي.

الفصل الثاني

اثنتان من بنات حواء جمع القدر بينهما..
ليُنفذ ألاعيبه وحيله..
فعلى الرغم من أن كلا منهما قد خُلقت في عالم لا يمت بصلة إلى عالم الأخرى، لكن القدر جعل كلا منهما تزلزل أركان عالم الأخرى.
فمن خلال أفكار أحلام في روايتها الرومانسية التي كتبتها وهي تعيش في عالمها الوردي قد جعلت أميرة تؤمن بحبها لممدوح، جارها ورفيق طفولتها بحارة الخواجات بالرويعي بحي باب الشعرية، وترفض حب مرعي، ابن الحاج زاهر تاجر الزجاج الثري صاحب المنزل الذي تقطن به هي وحبيبها ممدوح، على الرغم من إلحاح أمها وأبيها عليها بترك دراستها والزواج من مرعي، لتُنقذ أسرتها وأختيها من الفقر والعوز، لكن بعد قراءتها لرواية أحلام آمنت بها وتمسكت بحبها لممدوح وأنه آدم الذي خُلقت من أضلاعه والمكمل لكيانها وأضلاعها.
ممدوح، التي قررت دخول كلية الآداب لترافقه في دراسته وأفكاره

وحياته.. بعد علمها أنه اختار هذه الكلية لإكمال تعليمه الجامعي، فقررت دخولها.. ليس لحبها لعلم النفس والفلسفة، لكن لحبها الجنوني

لممدوح.

عالمان مختلفان تداخلا في الزمان والمكان غير المناسبين والمتضادان في كل شيء.

أحلام..

عالمها يقال على من وُلد وشبَّ فيه: إنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب ولا مبالغة هناك إذا قيل على عالمها إنها ولدت وجميع أدوات مائدتها من ذهب..

فعائلة السخاوي تمتد جذورها وشجرتها لأجيال كثيرة مع أصالة في المنبت والسلالة.. عائلة تتمتع بالجاه والسلطان والثروة.. أفاض الله على أحلام بوفرة في كل شيء.

جمال في رقة الملائكة.. ذكاء متقد.. مواهب متعددة.. شخصية قوية واثقة بذاتها ومواهبها.. يدعمها في ذلك قوة وسلطان عائلتها.. لديها كل شيء قبل أن تطلبه.. لم تشعر يوما بقهر الحرمان.. ولم تمر يوما بما يُعرف بعُقد الطفولة..

كل شيء مراعَى في تربيتها النفسية والصحية على أرقى درجات العلم النفسي والتربوي، من خلال أبوين على أرقى درجات الثقافة والعلم والتحضر..

نُسج حولها جدار من الحماية في جميع مراحل عُمرها، من خلال سلطان أبيها وستة من إخوانها بمراكزهم الاجتماعية الحساسة.. حصلت على شهادتها بتفوقها وذكائها..

لم يتجرأ أحد أن يتعدى على حق من حقوقها في التعيين فورا بالجامعة

وإكمال دراستها الأكاديمية..
فَتح لها أبوها دارا للنشر عندما اكتشف موهبتها في كتابة القصة الرومانسية الحالمة.
اشتهرت روايتها الرومانسية «الأضلاع المتجاذبة» بين جيل الفتيات المراهقات وذاعت بينهن نظرية خلق حواء من ضلع آدم وأن لكل رجل حواءه التي خُلقت من ضلعه، وإذا أراد الله السعادة لإنسان يجعله يلتقي حواءه فتتجاذب الأضلاع ويكتمل الكيان ويحصلان على السعادة الكاملة..
كانت أحلام تؤمن بكل كلمة وحرف في نظريتها، وكانت في بحث دائم في كل وجوه أولاد آدم التي تصادفهم بحثا عن أضلاعها الناقصة ليكتمل بها كيانها وسعادتها.
أميرة..
عالمها بالمقارنة لعالم أحلام..
من كوكب آخر وله جاذبية أخرى..
فمخلوقاته من فصيلة مختلفة في الصفات والجينات..
في حارة الخواجات بالرويعي بحي باب الشعرية وُلدت أميرة لأب موظف بهيئة البريد وأم لم تحصل على أي قسط من التعليم، لكنها أورثت بناتها الخمس جمالها وصحتها..
وكانت أميرة تتوسط أخواتها..
تزوجت الكبيرتان مبكرا، هربا من الفقر وضيق المكان عليهم، وحتى يزاح حملهما من على كاهل أبيهما.. ربط القدر أميرة منذ طفولتها المبكرة بكل من:
ممدوح، ابن الخادمة عطيات، كما كان يطلق عليه أهل الرويعي..
ومرعى، ابن الحاج زاهر، التاجر الثري المعروف.

كبرا معًا.. أحبها كل من ممدوح ومرعي حبا كبيرا.. لم ترفض حب أي منهما حتى وصلت إلى المرحلة الثانوية ووقع في يدها كتاب أحلام عن الأضلاع المتجاذبة فآمنت بكل كلمة فيه..

وتفجر بركان عواطفها في اتجاه ممدوح وآمنت إيمانا راسخا أنه آدم الذي خُلقت من أضلاعه وأن كيانها لا يكتمل إلا بحبه.

وعند علمها برغبته في الالتحاق بكلية الآداب لولعه الشديد بفلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو، لم تفكر أو تراجع نفسها فالتحقت معه بنفس الكلية حتى يتلاقى مصيرهما معا.

كان ممدوح يبتسم في سخرية عندما تصفه بأنه باقي أضلاعها.. لا يعكر صفو هذا الحب إلا إلحاح مرعي بطلب الزواج منها مع مباركة أبيها وأمها لهذا الزواج.

بدأ الخلاف يدب بين الصديقين؛ فمرعي قد رسب في الثانوية، وقرر أبوه أن يعمل معه في تجارة الزجاج.

كان ممدوح، ومن خلال إحساسه العميق بالفقر والذل والمهانة لعمل أمه خادمة في منزلهم، يتفادى الصدام معه، على الرغم من تمسكه بحب أميرة أملا في الزواج منها..

وذلك بعد الحصول على شهادته والقدرة على أن يعول أمه حتى لا تخدم في البيوت..

كانت أميرة تعضده وتقويه حتى وصلا إلى السنة الثانية بنجاح وتفوق.

لكن فجأة ومن دون مقدمات..

انقطع ممدوح عن حضور المحاضرات مع التهرب من مقابلتها.

حتى أمه عطيات لم تستطع أن تشفي غليل قلقها.

كان يأتي كل فترة ليعطيها المال الذي يكفيها، طالبا منها عدم الخدمة بالبيوت نهائيا..

الفصل الثالث

عند ولوجهما داخل أسوار النادي..
أخذت أميرة تتلفت حولها في ارتباك شديد لتكتشف هذا العالم الغريب الذي تواجهه لأول مرة في حياتها، محتمية في ظهر الدكتورة أحلام.
بدأ الليل يحل والأضواء المتلألئة تنعكس على صفحة النيل في لوحة فنية تبهر العين وتخطف الألباب.
القوارب الشراعية تحمل راكبيها مع الموسيقى الصاخبة، والشباب يرقصون في جنون، والبواخر الفاخرة محاطة بالأضواء.. تفسح لها القوارب الشراعية الطريق في مهابة واحترام.
تحيط بأحلام مجموعة من النساء يتحاورن معها في ترتيبات استقبال نجمة النجوم.
حدقت فيهن أميرة فاغرة فاها من هذا التنافس الغريب فيما بينهن في قيمة كل هذه الثروة التي يحملنها على صدورهن وأيديهن وآذانهن من الجواهر والحلي، مع تنافسهن الواضح في بياض البشرة التي تنعكس

عليها الأضواء لتبهر الأبصار.
الفساتين عارية الصدور.. تكشف الأذرع والظهور..
أخذت أميرة تتساءل..
أين هي؟
أهذه إحدى صور الجنة على الأرض..
وهؤلاء النسوة الهامسات هم أشباه الملائكة يرفرفن من حولها؟!
فجأة!
انقلب الهمس إلى صراخ وهرج ومرج شديدين..
هرولت النسوة نحو بوابة النادي وهن يتسابقن.. صارخات.
في تلقائية، أفلتت أحلام يد أميرة المتشبثة بها واتجهت في اتجاه البوابة التي احتشد أمامها رجال ونساء يحملون كاميرات التصوير التليفزيونية والفوتوغرافية يتراجعون بظهورهم.
في وسط هذه الكوكبة المجنونة..
وقفت نجمة النجوم سهير حمدي تبتسم للجميع وتشير بيديها للمعجبين والمعجبات، يحيط بها رجال الحراسة في دائرة لا يمكن اختراقها.
كانت أحلام في استقبال النجمة تقف بجانبها وترحب بها بعبارات إعجاب وشكر لقبولها دعوتها لحضور الندوة:
- شرفتِنا يا نجمة.
ردت سهير برقة حاولت أن تكون رقيقة هامسة:
- ميرسي يا دكتورة..
فجأة..
وجدت أحلام أميرة ملتصقة بكتفها فوضعتها بينها وبين سهير لالتقاط الصور..
صور جمعت بين ثلاث من بنات حواء..

وضعهن قدر الله في بوتقة واحدة.
لتتم مشيئته وشئونه في خلقه..
ولله في خلقه شئون..

الفصل الرابع

سهير حمدي أو سنية كعموش..
لو كانت أمنا حواء سببا في طرد أبينا آدم من الجنة فإن سنية كعموش كانت سببا في طرد أولاد آدم الذين أوقعهم حظهم العاثر في طريقها من الجنة وأطعمتهم التفاحة المحرمة بكامل إرادتهم وهم في قمة نشوتهم وسعادتهم..
صَادقها إبليس منذ طفولتها ليغويها فتتلمذ على يديها..
أرضعها إبليس من لبنه حتى صارت توأمه على الأرض.
وُلدت سنية في حارة الكتاب بحي القلعة وهي ابنة كعموش الفران، أو بوصف أدق مرمطون فرن المعلم رضا..
يقف أمام النار ليَخبز عند غياب الخباز أو طرده..
يعجن عند مرض العجان..
يُسجن مكان الوزان في أي قضية تموين، ثم يخرج من سجنه ويعود لعمله بالفرن كأن شيئا لم يحدث..
في مقابل غرفة بالبدروم في منزل المعلم رضا تعيش بها زوجته وابنته الوحيدة سنية..

علاوة على راتبه اليومي من الخبز ونقود قليلة.
تعوَّدت سنية منذ أن وعت للحياة على تسلم راتب الخبز من يد المعلم رضا بعد أن يأخذ منها راتبه اليومي من القبلات والأحضان تحت ستار أنه يلاعبها ويداعبها كطفلة في السادسة من عمرها بدأت تحس - بفطرتها الأنثوية المبكرة - أن مداعباته ليست بريئة، فبدأت تطلب الثمن في صورة نبوت الغفير أو باكو بسكويت أو نقود.
كان المعلم رضا يلبي طلباتها فورا دون تردد..
لتوافق على الجلوس على حجره..
في حالة تأجيله أو تسويفه لطلباتها كانت ترفض متعمدة الجلوس على حجره وركبتيه.. وتأخذ الخبز وتنصرف معاقبة له.. عند عودتها إلى أمها بالخبز كانت ترسلها إلى الجيران لتستعير كوبا من الزيت أو السكر أو بعض الطعام المتبقي من وجباتهم.
كانت بعض النساء يستغللنها في إحضار وشراء بعض الأغراض من المحال البعيدة في مقابل ما ستأخذه.
أو تقوم بكنس وتنظيف الأرض والحصر والسجاجيد وغسيل الأطباق والصحون والملابس ونشرها.
هؤلاء هم سليمو السريرة والشرفاء منهم.
أما بعضهم من النساء والرجال كبار السن والعوانس فكانوا يتحرشون بها..
النساء تستحم معها.. والأزواج يتحرشون بها..
ووضعت سنية كعموش قانونها الخاص..
من يدفع فليتحرش بقيمه ما يدفعه..
من لا يدفع لا يتحرش..
قانون سنية كعموش منذ أن وعت للحياة..

وأصبح قانونها لباقي حياتها..
كانت أولى ضربات القدر لها موت أمها بالالتهاب الرئوي وسوء التغذية وفقر الدم.
صارت يتيمة الأم وهي بعدُ في الثامنة من عمرها..
وحيدة في غرفتها ليلا..
تتنقل من شقة إلى شقة ومن بيت إلى بيت طوال نهارها.. أصبحت معروفة بين شباب ومراهقي الحارة بتسعيرتها..
لا ترى أباها كعموش إلا نادرا.
فهو يحضر وهي نائمة وتنصرف هي لدورتها اليومية وهو نائم.. سنتان حتى بلغت العاشرة من عمرها وبدأت علامات الأنوثة تظهر بوضوح على جسدها الطويل النحيل الممتلئ أنوثة.
مع جرأتها الواضحة ولغتها وألفاظها الفاضحة حتى فاجأها القدر بضيفة اقتحمت حياتها وغرفتها، مملكتها الخاصة..
زوجه أبيها كعموش..
زنوبة أو زوبة..
امرأة تخطت الأربعين من عمرها ممتلئة الجسد في أنوثة طافحة.
تحرك رموشها وجفونها في أنوثة محترفة.
أخذت كل منهما تتفحص الأخرى وتحدق في عينيها.. وبغريزتهما الأنثوية استوعبت كل منهما الأخرى وأخذتها زوبة في أحضانها وأخذت تتفحص جسدها الغض بيديها.
صارتا صديقتين حميمتين تحرص كل منهما على كسب رضاء الأخرى..
ازدادت علاقتهما قوة عندما اكتشفت كل منهما سر الأخرى..
أصبحتا متعادلتين.. ضبطتها سنية مع المعلم رضا يأتيها سرا بغرفة البدروم..

بعد أن يتأكد من عدم وجود كعموش.. أو يكلفه بعمل أو مشوار يغيب فيه..

وتعادلتا..

حين أمسكت بها زوبة متلبسة في عشة الفراخ..

مع طالب الدبلوم الذي يسكن السطوح مع أبيه..

سارت الأحداث لمدة عامين على هذا المنوال بين بنتي حواء، ازدادت علاقتهما قوة وعمقا وجاءت ضربة القدر التي جعلتهما تقرران ترك الحارة واقتحام الحياة معا.

شجع سنية على ترك الحارة اختفاء حبيبها وأول رجل أفقدها عذريتها، طالب السطح وعشة الفراخ.

فقد ضَبطت شرطة المخدرات المعلم رضا يخبئ المخدرات داخل الدقيق..

تقدم كعموش كعادته ظنا منه أنها قضية تموين واعترف أنه المسئول..

فتم القبض عليه وسُجن هو والمعلم رضا..

أصبحت المرأتان من دون عائل أو حماية فقررت زوبة اصطحاب سنية معها..

بعد أن قررت العودة إلى سيرتها الأولى في العمل بالكباريهات واستغلال جمال سنية وشبابها وأنوثتها الطاغية..

كانت سنية قد صارت في السادسة عشرة من عمرها مكتملة الأنوثة والوعي وتفهم الحياة..

لا ينغص حياتها إلا فقدها لحبيبها وأول رجل أسلمت نفسها له بكامل إرادتها دون مقابل، بل كانت تعطيه كل ما يطلبه من مال أو طعام وما تحصل عليه من الآخرين..

مازن فتح الباب..

هذا الاسم الذي حُفر في كيانها ووجدانها..

لا يمحوه إلا الموت..
أقنعتها زوبة بنسيانه مؤقتا حتى تنجح في اقتحام عالم الليل ثم تبحث عنه كما تشاء..
عادت زوبة إلى العمل في الكباريه الذي كانت تعمل به قبل أن يزوجها المعلم رضا لكعموش.
وافق مدير الكباريه ومالكه على رجوعها مجاملة للعشرة القديمة وإكمال عدد ليس إلا.
وهو لا يدري بخطة زبانية جهنم التي تخطَّط له.
أحضرت زوبة سنية معها وطلبت من المدير أن يجلسها معه في مكتبه لحين الانتهاء من عملها.
أفهمته أنها ابنة أختها وأن أمها قد ماتت ولم يعد لها أحد إلا هي.. كانت سنية ترتدي ملابس محتشمة وتتحدث بلغة مهذبة وبصوت هامس مدعية الخجل..
وافق المدير على مضض..
بدأت سنية تلقي بنظراتها الخجول له ثم أوقعت منديلها وانحنت في وضع أنثوي يكشف تفاصيل جسدها المثير..
كادت عينا المدير تقفزان خارج مقلتيه..
إثارة ورغبة تفجرتا بداخله..
بعدها بدأ على الفور في القيام بضيافتها في بذخ وكرم حاتمي.. لقد تصور ابن آدم المسكين أنه ينصب شباكه على بنت حواء الضعيفة الخجول التي يحمر وجهها لكلامه المعسول وغزله في جمالها ودلالها وهي تضع نظرها في الأرض متصنعة السذاجة..
عندما عادت زوبة وتلاقت عيناها عيني سنية عرفت أن ابن آدم المسكين قد بلع الطُعم وشَبكت في حلقه صنارة الشهوة.

حاول المدير إقناع زوبة بعمل سنية عنده في الكباريه كراقصة فرفضت رفضا تاما، فهي أمانة في عنقها..

كرر المحاولة محاولا إقناعها في رجاء:

- اسمعيني يا زوبة..

- أسمع إيه؟ مستحيل اللي بتقوله ده..

دي أمانة في رقبتي.. سابتها المرحومة وهي مطمنة عليها.. عايزني أفرط في الأمانة كده ببلاش؟

- مين اللي قال ببلاش بس؟ طلباتك؟

- تعملها عقد تضمن بيه مستقبلها..

- نعمل عقد.

- تجيب لها مدرب رقص خصوصي.

- نجيب لها مدرب رقص خصوصي.

- شيك محترم يغطي طلباتها.

- طلبات إيه؟

- لبس شيك.. شقة في الزمالك ولا جاردن سيتي.. ولا ولا...

- خلاص يا ستي.. موافق. المهم ترضى عننا ست الكل.

تنظر إليه في خجل مصطنع مع نظرة واعدة:

- أنا موافقة..

بعد أن وافق المدير على شروطهما مع سعادته الغامرة بنجاح خطته..

عشر سنوات مرت منذ هذا اليوم..

أصبحت بعدها سنية كعموش «سهير حمدي»، الراقصة الأولى على جميع كباريهات شارع الهرم.

أصبح لها معجبون من أصحاب الجاه والسلطان والثروة..

تزوجت خلالها مالك الكباريه الذي هام بها حبا وعشقا، ونجحت في

امتلاك الكباريه وأصبح يعمل لديها وأجبرته على الطلاق بعد أن تشعبت علاقاتها بأصحاب السلطة والسلطان.
ازدادت شهرتها وقامت ببعض أدوار الإغراء والرقص بالأفلام السينمائية..
ترافقها زوبة كظلها في كل منتدى ومجتمع..
أصبحت سنية كعموش..
سهير حمدي..
صارت سيدة مجتمع يشار لها بالبنان..
ولله في خلقه شئون.

الفصل الخامس

في إحدى الليالي وفي أثناء تأدية رقصتها بالملهى الليلي الذي تملكه..
وقعت عيناها عليه.. صرخت من أعماقها:
- نعم.. هو.. هو.. مازن.
كادت تقفز وتجري وترتمي في أحضانه..
لكن ألجمتها المفاجأة.. وألح عليها سؤال قاسٍ:
- من تلك المرأة العجوز ذات الشعر الأصفر المتصابية الجالسة معه وتضع رأسها على كتفه في دلال وميوعة؟
نزلت من على المسرح واتجهت ناحيته وأخذت ترقص له كما لم ترقص طوال حياتها..
تعجب مازن ولم يعرفها وظن أنها ترقص للمرأة الأجنبية، لكنها أخذت تتحرش به وتلتصق به في فجور والمرأة تصفق لها في سعادة وهي تظن أن ما تفعله هو الرقص الشرقي مع استغراب مازن الشديد..
انتهت من رقصتها وأرسلت لمدير الصالة ليضع أغلى المشروبات والمأكولات لمازن وضيفته وعلى حساب الكازينو، ثم ارتدت أجمل فساتينها وأكثرها

عريا وفتنة.
فوجئ مازن بسهير تقف أمامه.
انتفض واقفا وقَبَّل يدها وفي لهجة شكر وامتنان:
- شاكرين يا هانم على حسن وكرم الضيافة..
أمثالك تفتخر بهم مصر..
لقد رفعتِ رأس السياحة عاليا..
دي وطنية عظيمة والله.
أُعرفك بنفسي: الدكتور مازن فتح الباب..
وفي سخرية واستهزاء بعد أن ضحكت ضحكة مدوية بدلال:
- الإيه يا اخويا؟ الدك.. تور؟
نظر مازن إليها في تعجب:
- نعم يا هانم.. دكتوراه في السياحة من كبرى جامعات ألمانيا..
وهذه زوجتي آنيتا.. صناعة ألماني أصلي.. أنا بلا فخر يا هانم..
- ولد يا مازن.. أنت ما زلت نصابا يا ولد؟!
دكتوراه إيه يا منيل؟ ألم تعرفني بعدُ؟
حارة الكتاب يا ابن فتح الباب..
عشة الفراخ على السطح يا منيل..
سنية كعموش يا قليل الأصل. ها.. أقول كمان..
أم يكفيك هذا؟
يحدق فيها في ذهول ثم يصرخ فرحا..
- سنية كعموش؟ معقولة؟
هذا شيء ولا في الخيال.. سنية بلحمها وشحمها؟
- نعم.. سنية بلحمها وشحمها.. وليس خيالها.
- ما حكاية سهير حمدي هذه يا ابنة كعموش؟

- أخفض صوتك يا منيل ما تفضحناش.. عيش الدور يا واد.
- نعم. نعم.. نحن نشكرك يا سنية.. يووه.
يا سهير هانم على كرم الضيافة.
في دلال وغنج أنثوي:
- العفو يا دك.. تور مازن.
تشير بيديها لفرقتها الموسيقية على المسرح:
- سلام كبير قوي للدك.. تور مازن..
خبير السياحة المتصيت.. المتصيت قوي.. هنا وفي ألمانيا..
يرمي كل منهما في أحضان الآخر في شوق ولهفة..
وزوجته الألمانية تصفق لهما وهي تبتسم ابتسامة عريضة..

الفصل السادس

مازن فتح الباب..

نصاب بالفطرة.. تتلمذ وتعلم على يد أبيه منذ نعومة أظافره.. زُرعت وصايا أبيه في كيانه ووجدانه..

البشر صنفان:

صياد.. وفريسة..

الأخلاق والشرف والحلال والحرام..

هي أكبر عائق في طريق الأذكياء..

سيحصل عليهم عندما يمتلك المال والجاه والسلطة.. فإذا ملكهم سعت إليه كل الصفات الحميدة من أخلاق وشرف.

أورثه أبوه بشرته البيضاء الناصعة ووجهه الوسيم وجسده الفارع في رشاقة.. علَّمه كيف يكذب وهو يبتسم..

كيف يوقع بفريسته بكامل إرادتها..

كانت إحدى ضحاياه: أم مازن.

كذب عليها وأقنعها أنه حاصل على شهادته العالية من روسيا، لكنه

فوجئ أنهم لا يعترفون بها في مصر.
تزوجته على الرغم من معارضة أهلها، ثم اكتشفت أنه راسب إعدادية. عندها طلبت الطلاق منه..
فأخذ ابنه وهرب إلي القاهرة واستقر به الحال في حارة الكتاب بالقلعة..
أقنع المعلم رضا صاحب الفرن والمنزل أنه عزيز قوم ذل.. فأعطاه غرفة على سطح منزله واستغل المعلم رضا مواهب فتح الباب في أعماله المشبوهة..
أقنع فتح الباب ابنه مازن أن التعليم سيهبه فرصة أكبر في الحياة.. أدخله المدرسة حتى وصل لمرحلة دبلوم التجارة.
كان مازن يمارس النصب على أقرانه في المدرسة وأصدقاء حارة الكتاب..
وعندما بلغ الحُلُم وبدأ شبابه وفتوته يلحان عليه في إشباع غريزته الجنسية نصحه بعض رفاقه باللجوء إلى سنية كعموش ساكنة البدروم..
في مقابل قرش أو قرشين.
قبل مازن المبدأ ولم يقبل أن يدفع قرشا أو قرشين.
رسم خطته على رمي سهام الحب في نظراته عندما يقابلها..
أو إلقاء بعض عبارات الغزل التي لم تتعود عليها أذنا سنية.. فوقعت في شباكه وهامت بحبه وأصبحت لا تغادر سطح المنزل إلا بعد أن تريحه في إحدى عشش الفراخ..
كانت تجلب له الطعام الذي تحصل عليه.
بدأ يشكو لها ضيق ذات اليد وأنه يريد شراء كتاب وإلا سيرسب في الامتحان ويضيع مستقبله.. الذي هو مستقبلها أيضا.
كانت سنية تصدقه وتبحث عن زبائنها وتجمع القرش على القرشين حتى تكمل له ثمن الكتاب..
في ليلة قمرية أسلمت نفسها له بكامل إرادتها ورغبتها وفقدت عذريتها

وهي في قمة سعادتها ونشوتها، وحصل مازن على الدبلوم، لكن القدر كان له بالمرصاد عندما تم القبض على أبيه في قضية شيكات من دون رصيد.

بدأ أصحاب الشيكات يطالبونه هو بدين أبيه مع تهديدات وصلت للقتل.

فجأة..

اختفى مازن من حارة الكتاب بغير رجعة ووجد عملا بإحدى البواخر السياحية لإتقانه بعض اللغات التي علمها إياها أبوه كأداة تساعده في عمليات النصب والاحتيال..

ألقى بشباكه على إحدى الألمانيات وكانت عجوزا متصابية..

أعطاها شبابه وفتوته فهامت به حبا وعشقا..

أخذته معها لألمانيا وتزوجته ووضعت ثروتها تحت إمرته وساعدته في دفع قيمة درجة الدكتوراه في السياحة من إحدى الجامعات المغمورة التي تمنح درجة الدكتوراه في مقابل مادي دون دراسة أو امتحانات حقيقية، بل وهمية على الورق.

عشر سنوات رجع بعدها إلى مصر..

ليفتح شركته للسياحة لجلب الأفواج السياحية من وإلى ألمانيا بمشاركة زوجته آنيتا..

شاركها في شراء أول باخرة سياحية وسماها بإسمها.

حتى كانت الليلة الموعودة التي جمعه القدر فيها مع سنية كعموش أو سهير حمدي نجمة الرقص الشهيرة وفاتنة الإغراء على شاشات السينما.

عادت العلاقة بينهما أقوى وربطت بينهما المصالح المشتركة.

ربيبة إبليس.. مع أكبر نصاب..

كانت أولى خطوات سهير الشيطانية التخلص نهائيا من آنيتا بغير رجعة،

ونجحت في ذلك.. وطلقها مازن بعد أن اطمأن أنه ملك ثروتها..
ظنت سهير أن الطريق أصبح خاليا أمامها لقلب مازن والزواج منه، لكنه راوغها مراوغات شيطان لشيطانة.. رافضا مبدأ الزواج.
أقنعها أن المصلحة فقط هي الرابط الحقيقي بينهما..
واستغلالا لمواهبها أنشأ شركة للإنتاج السينمائي وأنتج لها أفلاما كُتبت خصيصا لها مع توليفة النجاح المضمونة في السينما المصرية من إغراء وعري ورقص، حتى أصبحت نجمة الإغراء الأولى.. أصبحت أفلامها تدر عليه وعليها الملايين.
لكن بنت حواء لم تستسلم لابن آدم الذي يلبسه إبليس ويحيي ويبارك كل خطواته..
قررت الإنجاب منه دون علم منه..
أسكرته حتى الثمالة وكلياليهم الحمراء.. عاشرته.
تم مرادها.. لم تصارحه إلا بعد أن أنجبت ولدها ونسبته إليه..
أنكر مازن بإلحاح نسب الولد إليه.
انتشرت الفضيحة بجميع المجلات الفنية وأصرت هي على نسبه له وأنكر هو انتساب الولد إليه..
استسلمت سهير مؤقتا وتركت حل مسألة عناده للزمن..
ظلت المصالح بينهما متواصلة حتى تسلم دعوة الدكتورة أحلام السخاوي بعرض أحدث أفلام سهير التي أنتجها بنادي اليخت وعمل ندوة بعد عرض الفيلم مع صفوة سيدات المجتمع فوافق على الفور لمعرفته بسطوة وقوة عائلة السخاوي ومحاولة لكسب رضاء العائلة المسيطرة المنتشرة في جميع نشاطات المجتمع المصري من قضاء وشرطة وحتى في حقل السينما والفن.
غادر مكتبه متوجها إلى نادي اليخت، مقررا الذهاب إلى الندوة مجاملة

لأحد أفراد عائلة السخاوي الذي يعمل في المصنفات الفنية ويجامل هذه الكاتبة المدعية، أحلام السخاوي، التي تكتب التفاهات والأوهام، وكان هذا رأيه فيها.

إنها تكتب لكوكب آخر وبشر آخرين لا يعيشون على كوكب الأرض..

لكنها المصلحة التي ستفرض عليه منافقتها ومجاملتها..

كان المشوار ثقيلا على قلبه..

الفصل السابع

في غرفة الضيافة بنادي اليخت جلست سهير بعد انتهاء الندوة وعلى يمينها زوبة تدخن سيجارة داخل مبسم طويل وتجلس بأرستقراطية سيدة مجتمع..

على يسار سهير جلست أحلام ملتصقة بها أميرة كظلها..

تحيط بهن صفوة سيدات المجتمع.

يدخل الغرفة شابان يرتديان ملابس الجرسونات يحملان الصواني، عليها عصائر الفاكهة والجاتوهات والمياه المعدنية والمشروبات الغازية..

قاما بوضع المشروبات والحلويات أمام سهير وزوبة وأحلام..

حين وضع أحد الشابين العصير أمام أميرة..

رفعت رأسها لتشكره..

التقت عيناها عيني ممدوح حبيبها..

كادت تصرخ من هول المفاجأة والفرحة.

همس لها ممدوح:

- أرجوكِ يا أميرة.. تماسكي.

- ولكن..
- ليس الآن.. أجلى أي سؤال الآن.. بعد الحفلة.
سنتكلم.. وسأشرح لكِ كل شيء.
تركها مغادرا الغرفة.
شعرت أميرة بفرحة غامرة بعد أن تلاقت واجتمعت بباقي أضلاعها في هذه الليلة الجميلة الغريبة عليها.
اكتملت سعادتها باكتمال أضلاعها.
ازداد طعم الليلة حلاوة ونشوة وشعرت بسعادة غامرة.. أصبحت لا ترفع عينيها من عليه وهو واقف في أحد الأركان يلبي طلباتهن وهو يبادلها نظرات الحب والابتسامات الخفية فجأة.
يظهر مازن ويتجه مباشرة إلى سهير ويقبل يدها وفي عتاب:
- هي عادتك ولا هتشتريها يا سي مازن؟ دايما متأخر كده.
- اعتذاراتي يا نجمة.. أنا لا يؤخرني عنك إلا عزرائيل..
- يا بكاش.. أعرفك بالدكتورة أحلام السخاوي الكاتبة المعروفة.
يمد يده ويتناول يدها ويُقبلها في بطء مع انحناءة خفيفة.
تتلاقى الأعين في نظرات فاحصة.. تقفز أحلام واقفة وهي تحدق بتركيز شديد في ملامح وجهه وعينيه تاركة يدها في استسلام بين يديه.. وسرت رعشة في جسدها..
تقف معها أميرة حتى تتمكن من رؤية ممدوح من خلف كتفها.. ارتجت أركان المكان أمام عيني أحلام.
توقف الزمان.. اختفت جميع الوجوه من حولها.. لا ترى أمام عينيها إلا وجه مازن.
غَمرت المكان رائحة الزهور والفل وروائح من الجنة.. فُتحت أبواب في الجدران الصماء دخلت منها ملائكة ترفرف بجناحيها من حولهم

وأصواتهم الملائكية تغني أغاني الحب على أصداء موسيقى لم تطرق أذنيها من قبل.. وصرخ صوت داخلها:

أخيرا وجدته.

أخيرا رضي الله عنها وأرسل لها باقي أضلاعها الناقصة..

أخيرا كيانها اكتمل..

سعادتها تمت..

أفاقت على يد سهير وهي تفصل بين يدها ويد مازن المتشبثة بها في استماتة..

في نظرات امرأة خبيرة شعرت بالخطر وفي لهجة أنثوية:

- تفضلي يا دكتورة استريحي.. تعالَ يا مازن اجلس بجانبي هنا..

نادت على ممدوح ليُحضر مشروبا لمازن..

فقد شعرت بغريزتها الأنثوية ببدء الكارثة..

ظلت أحلام تحدق في عيني مازن وتستدرجه في الحديث..

بجانبها أميرة لا ترفع عينيها عن ممدوح أينما ذهب.

الفصل الثامن

ممدوح حلمي..
وشهرته بحي الرويعي وحارة الخواجات: ابن عطيات الخادمة.. رفيق نشأته وطفولته مرعي زاهر، ابن الحاج زاهر، تاجر الزجاج وأثرى أثرياء المنطقة ومالك المنزل الذي يقطنه ممدوح وأمه في إحدى غرف الدور الأرضي، والمكون من ست غرف، كل غرفة تقطنها أسرة بأطفالها مع دورة مياه مشتركة لهم جميعا.
تقطن أميرة في الدور الأول في إحدى الشقق الضيقة.
ويسكن الحاج زاهر في الدور الثاني بأكمله مع زوجته وابنه الوحيد مرعي.
ربط الله بين ممدوح ومرعي بصداقة منذ طفولتهما المبكرة..
يراها فاقدو البصيرة أنها غير متكافئة وغير عادلة..
لكن عدل الله في توزيع هباته وعطاياه..
عدل بينهما.. وهب الله مرعي الثروة والسلطة والحماية، ووهب ممدوح العقل الراجح والذكاء المتقد والقدرة على الإبداع والنظرة العميقة للحياة

وقناعة لا يوازيها إلا الغنى الكامل..
كل منهما يحتاج إلى الآخر.
ممدوح يعيش في الحي تحت عباءة الحماية المحيطة بمرعي أمام أولاد الحي وسفهائه..
ومرعي يلجأ إلى عقل وذكاء ممدوح في استيعاب ما غمض من الأشياء أو فهم دروسه.
تُوفي والد ممدوح وهو بعدُ في الرابعة من عمره بداء السرطان اللعين، وتركه هو وأمه دون عائل يعولهما، ما اضطر أمه عطيات للخدمة بالبيوت حاملة حلم أبيه على كتفيها في إكمال تعليم ممدوح وحصوله على الشهادة الجامعية، تحقيقا لأمل وحلم أبيه.
غرزت عطيات الحلم في ممدوح منذ طفولته ولم يخيّب رجاءها بنجاحه المستمر وتفوقه على أقرانه، وكان الحاج زاهر يساعدهما في مقابل أن يساعد ممدوح ابنه مرعي في دراسته ولا يتركه لحظة، وكان يتولى مساعدتهما ماديا ويشتري له الملابس والكتب، وأصبح الحاج زاهر صاحب فضل على ممدوح وأمه.
وكما قدر الله لهما مشوار صداقتهما، ألقى في قلبيهما معا حب بنت الجيران أميرة الجميلة.
كانت أميرة في حيرة من أمرها؛ فقلبها يميل لممدوح، وعقلها وإلحاح أمها وأبيها يرجحان كفة مرعي؛ لأنه سيخرجهم من الفقر والعوز.. رسا قارب قلبها على مَرسى ممدوح حين وقعت في يدها رواية «الأضلاع المتجاذبة» ووجدت نفسها تصارحه بحبها وأنه باقي أضلاعها الناقصة واكتمال كيانها وأنها ستسير معه إلى نهاية المشوار.
قررا معا دخول كلية الآداب وإكمال مشوار الحياة معا والحصول على الشهادة الجامعية حتى يصبحا قادرين على مواجهة متطلبات الحياة..

تعاهدا على ألا يفرقهما إلا الموت.
حتى انقطع ممدوح فجأة عن دراسته واختفى..
وحتى قابلته فجأة أيضا وفي لقاء قدري..
في نادي اليخت يعمل «جرسون»..

الفصل التاسع

انتهت ليلة الأحلام لأميرة وغادرت الجنة التي كانت تراودها في أحلامها.. وصحوها.

اصطحبها ممدوح مغادرين نادي اليخت..

وقفا على كورنيش النيل يحدقان في صفحة مياهه المتلألئة..

والسعادة تغمرهما والحب يدغدغ قلبيهما الغضين..

بمقابلتهما القدرية تلك..

تلتفت أميرة إليه في نظرات هيام وحب وفي صوت مرح:

- أخيرا الدكتورة التقت بباقي أضلاعها.. وأصبحت ثاني حواء تثبت النظرية بعدنا بالطبع.

هي التي قالت لي ذلك.. فهي...

يقاطعها في حدة وعصبية:

- مرة أخرى يا أميرة ترددين نفس الكلام..

أحلام قالت.. ونظريتها.. تقول أحلام.

وأحلام تؤكد أننا أنا وأنتِ أول اثنين نثبت نظريتها..

استيقظي يا آنسة من أحلامك وأوهامك هذه التي عششت في رأسك..

وانظري جيدا من حولك..
انظري لواقعك وواقع أهلك كيف يعيشون..
لدنياك.. دنيا حارتنا..
وليس إلى دنيا أحلام ونظرياتها..
- استمع لي يا ممدوح أرجوك..
الدكتورة قالت إننا يجب أن نتغلب معا على المشاكل التي ستواجهنا.. مهما كانت قسوتها وشدتها..
ولكن بشرط واحد..
يجب أن نؤمن بحبنا..
ونتمسك بعهدنا ولا يفرقنا إلا الموت.
- مرة أخرى يا أحلام.. الدكتورة قالت..
اسمعيني جيدا يا ضلعي الناقص عقلا..
دنيانا أنا وأنتِ لها قوانينها ونظرياتها الخاصة بها..
وليست لها علاقة من قريب أو بعيد بدنيا أحلام وقوانينها..
صدقيني أنا لا أكرهها أو أتحامل عليها..
أنا أعلم أنه لا ذنب اقترفته وتخجل منه في أنها وُلدت في المدينة الفاضلة التي لا يعرف من يعيش فيها خوفا من فقر أو مرض أو رهبة من الغد والأيام المقبلة.. مدينة ليس في قاموسها كلمات مثل الحرمان أو الخوف.. لكن ليس من حقها أن تفرض قوانين مدينتها على حياتك وحياتي.. تركيبة خاطئة يرفضها المنطق والعقل..
أنتِ بالطبع تعلمين أن دخولك ودخولي الجامعة كان أكبر رفاهية في حياتنا.
- أنا أفهم وأعرف كل ما قلت..
لكن من حقنا أيضا أن نحلم بتغيير واقعنا..

وتصبح لنا دنيا مثل دنياها.
من أجل أولادنا ومستقبلهم..
هل تستطيع أن تفهمني إذًا؟ لماذا دخلنا الجامعة ودرسنا سقراط وأفلاطون وأرسطو؟
أليس من أجل تغيير واقعنا ودنيانا تلك؟
يقاطعها في غضب:
- احلمي كما تشائين وعيشي أوهامك وأحلامك..
أما أنا فقررت أن أعيش الدنيا بقوانيني أنا..
ووداعا لسقراط وأفلاطون..
وهيا بنا إلى دنيانا وحارتنا..
قبل أن ينتهي موعد المترو..
ونضطر للسير على كعوبنا.

الفصل العاشر

جلس مازن في مكتبه بشركة الإنتاج السينمائي منهمكا في قراءة ملف أمامه به تحريات كاملة عن عائلة السخاوي وثروتها والمراكز التي يسيطرون عليها في جميع الوزارات والمصالح، وبجانبه كتاب مكتوب على غلافه رواية الأضلاع المتجاذبة للكاتبة أحلام السخاوي..

وقد أفرغ سكرتيرته من كل مهامها لتعثر له على كتب أحلام بالمكتبات ولا تعود إلا بها.. هددها ألا تعود لعملها إذا لم تجلبها..

ليجد من خلال عقلها وأفكارها الوسيلة التي سينصب بها شباكه على فريسته التي كان يبحث عنها.. وأخيرا وجدها.. وقالها لنفسه:

- أخيرا وجدت العائلة التي سأنتمي إليها.. ومفتاح جنتي في يد ابنتهم المدللة.. أحلام..

لكن المعضلة العويصة كيف أصل أولا إلى مفتاحها هي؟ كيف؟ كيف؟

تقتحم السكرتيرة عليه خلوته وهي تعلن عن وجود الدكتورة أحلام خارج المكتب طالبة مقابلته..

حدق فيها للحظات مذهولا، ثم أسرع بإلقاء الملف بدرج مكتبه بسرعة ثم أمسك بالرواية في يده وفتحها ووضعها على مكتبه..

أشار للسكرتيرة بإدخالها وهو يصلح هندامه ويرتب شعره الناعم بيديه.
تدخل أحلام وتقف في مواجهته محدقة في وجهه.. تلمح الرواية على مكتبه.. تتناولها وتنظر فيها ثم تنظر في عينيه بدلال.. وبصوت رقيق:
- هل أعجبتك؟
بادلها نظرات الهيام والإعجاب.. وفي صوت أكثر رقة:
- وآمنت بكل حرف فيها.
شعر بغريزة النصَّاب بداخله أن الفريسة تقترب من الشراك..
- وما رأيك؟
- الرأي رأيك.. والقرار قرارك.. ولو كان ما أحسه وأشعر به هو نفس ما تشعرين وتحسين به...
قاطعته في رقة:
- أنا شعرت بك لحظة ما التقت عيناي عينيك..
في رقة شديدة حاول جاهدا أن يكون صوته معبرا وصادقا:
- من لحظتها.. لا أدري ما حدث لي.. لا أعمل.. لا أنام..
ولم أعرف السبب إلا عندما قرأت كتابك.. واطلعت على نظريتك.. وآمنت بكل حرف فيها.
- هل أحسست ساعتها أن أضلاعك الناقصة قد كَمُلت عندما التقت أعيننا؟
هل هذا ما شعرت به.. كما شعرت به أنا؟
- نعم.. نعم.. هذا ما حدث لي تماما لحظة ما التقت عيناي عينيك.
شعرت أن أضلاعي قد ارتاحت..
والأوجاع التي كانت بها قد اختفت تماما..
في سعادة غامرة لم تحاول أن تخفيها:
- هذا يثبت ويؤكد نظريتي وأنني ضلعك الناقص..

يربت بيده اليمنى على الدرج الموضوع به الملف..
ثم يمد يديه إليها في هيام..
تتشابك أيديهما في هيام وحب وسعادة غامرة..
وفي صوت في غاية الرقة.. همس مازن:
- أنتِ من الآن ضلعي الناقص.. وحياتي وأيامي القادمة ومستقبلي..
بل أنتِ حوائي التي فَترت الدنيا كُلها أبحث عنها..
وأخيرا وجدتها..
شعر مازن بسعادة غامرة لدخول فريسته في مصيدته وشباكه..
شعر أن عائلة السخاوي بمراكزها الحساسة وبجاهها وسلطانها أصبحت في يده.. ورهن إشارته..

الفصل الحادي عشر

سعيدة مبتهجة مشرقة الوجه لا تفارق الابتسامة شفتيها، يَضربُ الدم وجنتيها بحمرة قانية تخطف الأبصار..

وقفت أحلام في مكتبها بالكلية تتلقى التهاني من زملائها وطلابها بعد مواجهتها الصعبة مع أبيها وأمها وكامل عائلتها المتعنت والرافض لهذا الزواج..

وضعوا أمامها حياته منذ أن كان في حارة الكتاب بالقلعة وتاريخ أبيه الإجرامي..

كان ردها القاطع والحاسم دون تردد:

- إن هذا كله حدث قبل أن يتلاقيا وتكتمل أضلاعهما..

وإن مازن قد أصبح إنسانا آخر بعد أن اكتملت عظامه وكيانه.. رضخت العائلة وشعر أبوها بالأسف الشديد؛ لأنه بالغ في حمايتها ولم يتركها تواجه الحياة وصراعاتها..

قرر أن يتركها تكمل تجربتها تحت عينيه وبصره..

يدخل الساعي ويعلن عن وجود ضيفة تطلب مقابلة الدكتورة على

انفراد.. ولم ترد ذكر اسمها..
تفاجأ أحلام بسهير مرتدية نظارة سوداء على وجهها في محاولة لإخفاء شخصيتها.
تتعرف عليها أحلام منذ لحظة دخولها..
تقف في مواجهتها للترحيب بها وتطلب منها الجلوس فترفض وتبدأ المواجهة بينهما..
في لهجة حاولت سهير أن تجعلها رقيقة النبرة:
- لا داعي للمجاملات والضيافة.. فأنا لم أحضر لزيارتك أو تهنئتك.
- ظننت هذا بالفعل حين رأيتك، أنكِ حضرتِ لتهنئتي لصداقتك لمازن..
- كنت أود ذلك..
بدأت علامات الغضب تكسو وجه أحلام.. وفي لهجة باردة:
- تشرفني زيارتك على أي وجه.. لكن هل يمكنني معرفة سبب زيارتك الكريمة إذا لم تكن للتهنئة؟
- لأريح ضميري..
في تعجب:
- تريحين ضميرك؟ لم أفهمك.. أرجوكِ يا هانم.. وضحي كلامك.
في لهجة تهكمية وهي تهز إصبعها:
- لا يصلح.
في تعجب:
- ما الذي لا يصلح؟ لم أفهم شيئا من كلامك يا هانم..
ادخلي لب الموضوع أرجوكِ.
- زواج شيطان.. بملاك.
- أكرر أسفي يا سهير هانم.. أنا لم أفهم بعد.
- زواجك من مازن لا يصلح.

- لِمَ يا هانم؟ لقد تصورت أنك حضرتِ لتهنئتي.
- كنت أتمنى هذا.. لو كان بغير مازن.
- وما عيب مازن؟
- هذا هو السؤال الذي جئت خصيصا لإجابته..
ولأبصرك بما غفلت عيناكِ الجميلتان أن ترياه.
في ابتسامة هازئة وقد استشعرت الغيرة في وجهها وكلماتها:
- وأنا كلى آذان مصغية لكِ.
في لهجة كظيمة حازمة:
- ما تجهلينه يا دكتورة أنك سوف تتزوجين عن غفلة بأكبر نصاب في بر مصر.. لا ليست مصر وحدها، بل في ألمانيا أيضا..
ومن المؤكد أنك صدقتِ أنه حاصل على دكتوراه في السياحة..
والحقيقة التي لا شك فيها وأرجو أن يتحمل قلبك مواجهة الحقيقة المريرة...
- وما الحقيقة التي لن يتحملها قلبي؟
- الحقيقة أنه حاصل على دبلوم تجارة متوسط..
وهو يعيش مع أبيه النصاب في حارة الكتاب بالقلعة..
هذا بخلاف فضائح أبيه في النصب على خلق الله وسرقتهم..
يعني مأصّل في النصب.. وراثة في دمه..
هذا بخلاف فضائحه النسائية.. وغيره.. وغيره..
أنا لو ظللت أحكي لكِ فضائحه سوف أكتب مجلدات ولن تكفي..
هل عرفتِ الآن معنى كلامي وسؤالي؟
إنه لا يصح ولا يصلح هذا الزواج غير المتوافق..
تبتسم أحلام في استهزاء وقد تأكدت بغريزة حواء من الغيرة المشتعلة داخل أحشاء سهير:

- كلامك لن يغير شيئا يا هانم؛ لأن مازن قبل أن يتقابل مع باقي أضلاعه ويكتمل كيانه كان تائها في هذه الدنيا.. باحثا عني وعن أضلاعه الناقصة وأنا متأكدة أنه سوف يتغير.

في غيظ كاظم ولغة سفيهة:

- إيه يا اختي ده؟ أنا بقول إيه وهي بتقول إيه؟ أضلاعها إيه وأضلاعه مدرك إيه؟ إحنا في محل جزارة ولا في السلخانة؟ بقولك هتتجوزي أوسخ وأحط إنسان على وش الدنيا تقوليلي عضم وفشة وطحال؟ إيه يا اختي ده؟ مرارتي هتتفقع.

في استهزاء وشماتة واضحة:

- أنتِ لم تستوعبي كلامي يا هانم، ولكِ عذرك.. سوف أبسط لك النظرية.. كل رجل خُلقت من ضلعه حواؤه. وأنا خُلقت من ضلع مازن.. عندما التقينا انجذب الضلع اللي هو أنا لباقي أضلاعه اللي هو مازن.. أظن وضحت كده.

صارخة في غضب:

- هاي.. استيقظي يا دكتورة.. زواجك من مازن لن يكمل على الأكثر سنة واحدة وقد لا يكملها.

في لهجة واثقة:

- سوف يكمل الثانية.. والثالثة.. ولآخر العمر.

وضعت سهير يدها على المكتب ووضعت وجهها في وجه أحلام وفي لغة تحدٍّ:

- أتراهنينني.

- أرجوكِ يا هانم كفى مهاترات.. أنا أرفض أن أتدنى في الحوار لهذا المستوى..

- لن تخسري شيئا لو جاريتِني في رهاني هذا..
لو زواجك تخطى السنة سوف تكسبين الرهان وتثبتين لنفسك صحة نظرية العظام بتاعتك..
وأنا سوف أبتعد عنه ولن أعترض طريقكما بعدها..
وسوف أصبح من مريديك والمؤمنين بحكاية العظام بتاعتك..
أما لو انكشف لك قبل أو بعد السنة الأولى..
تعدينني أنك سوف تبتعدين عنه وتتركينه لي..
فأنا من توبه وهو من توبي..
موافقة أم خائفة أن كلامي يتحقق وأكون على حق؟
في ضجر محاولة لإنهاء المناقشة والحوار:
- موافقة يا هانم.. وسوف تثبت لك الأيام صحة النظرية..
عندما ترين بعينيك وتسمعين بأذنيك عن مازن الذي وُلد من جديد.. عندما اكتملت أضلاعه..
في لهجة ساخرة في محاولة لكظم غيظها:
- سوف نرى ونسمع يا دكتورة.
والأيام سوف تكشف وتثبت من منا على حق.. ومن الغافل.
وفي لهجة واثقة وهي تعطيها ظهرها مغادرة:
- لا تنسي ميعادنا..
بعد سنة..

الفصل الثاني عشر

كما يقول المثل: تيجي تصيده يصيدك.
أحلام وأميرة كانتا أسعد بنات حواء على وجه البسيطة.. توطدت صداقتهما وأصبحتا لا تفترقان.
عاد ممدوح إلى أميرة مسلِّما بصحة النظرية وقد تضاعف حبه لها بعد نجاح زواج أحلام ومازن واقتراب احتفالهما بعيد زواجهما الأول وهما في كامل سعادتهما الزوجية.
عاد إلى دراسته نهارا والعمل ليلا ليعيل نفسه وأمه..
اجتازا الامتحانات بنجاح وتفوق وأصبحا في السنة الثالثة..
أما أحلام فقد اكتملت أركان سعادتها بإنجاب طفلها الأول من مازن.
لا يُعكر صفاء هذه السعادة إلا هذا الرهان الإبليسي اللعين مع ربيبة إبليس الملعونة سهير..
لقتل مخاوفها وهواجسها التي وصلت في بعض الأحيان لحد الهذيان والكوابيس المرعبة ولتثبت لسهير ولنفسها قبلها صحة نظريتها.
قررت ترتيب حفل كبير تتحدث عنه الأوساط الراقية كلها..
في مناسبة عيد زواجهما الأول وإتمام عامهما الأول..
ردا على كيد الملعونة سهير.

طلبت من مازن أن يقوم أحد المخرجين الموهوبين في شركته بإخراج هذا الحفل الكبير حسب رغباتها وأوامرها وترتيبها..
لبَّى مازن أوامرها ووضع تحت تصرفها مخرجا بكامل معداته الفنية..
أما عن مازن فقد انطبق عليه المثل القائل: جئت لصيده.. فصادني.
انقلبت جميع حساباته عليه ووقع في مصيدة الأخلاق والشرف والضمائر الحية لأفراد عائلة السخاوي.
فعند طلبه التصاريح لبواخره السياحية التي كان يستخرجها قبلا بالرشاوى لأصحاب النفوس الضعيفة والضمائر الميتة بوزارتي السياحة والداخلية، وظنا منه أنه سيوفر كل هذه الأموال عن طريق نسبه مع عائلة السخاوي وارتباطه بهم، فوجئ بلجان التفتيش لا تنقطع وطلباتهم في إجراء الإصلاحات تجاوزت كل حساباته.
اضطر مرغما إلى تنفيذ طلباتهم.. ممنيا نفسه أنه سيعوضها في السيناريوهات المرفوضة قبلا من المصنفات الفنية التي يسيطرون عليها وكانت صدمته كبيرة برفض جميع السيناريوهات رفضا قاطعا.. شعر حينها أنه أوقع نفسه في شبكه الأخلاق الملعونة التي لا يؤمن بها والملغاة من قاموس حياته، ما اضطره للعودة لطريقته الأولى في دفع الرشاوى وتزوير المستندات والأوراق التي تدل على إجرائه الإصلاحات المطلوبة عن طريق مساعده وذراعه اليمنى وكاتم أسراره ومنسق لياليه الحمراء مع الفتيات الحالمات بالشهرة والثروة..
بهاء خشبة..
لم يكن يدري أنه في محاولته الخروج من شبكة عائلة السخاوي الأخلاقية تلك..
كانت تُنسج له شبكة شيطانية ألعن وأشد ضراوة..
شبكة سنية كعموش.

الفصل الثالث عشر

أتى إبليس ليوسوس إلى سنية كيف تطرد مازن من جنته..
مكررا لوسوسته إلى أمها حواء لطرد آدم من جنة ربه..
مستغلا نار الغيرة المشتعلة في قلبها..
تراجع فورا عندما علم بما في نفسها من كيد النساء الذي تخططه..
لابن آدم.
أرسل فورا إلى أقرب أبنائه وكبار مريديه حتى يتعلموا في مدرسة بنت كعموش التي تفوقت على إبليس بكيدها..
قرأ ما يدور بخلدها..
- بهاء خشبة.. الذراع اليمنى لمازن وكاتم أسراره.. والمنفذ لجميع مخططاته القذرة.
كبد مازن في يده.. نعم بهاء خشبة هو الورقة الرابحة في مخططها..
استخدمت معه كل الأساليب من تهديد وترهيب بما تعرفه من أسرار تدخله السجن فيكشف لها أن مازن سيسبقه إلى السجن.
فتحولت إلى أسلوب الترغيب والإغراء بالمال..
أخذت ترفع في سعره إلى أن سال لعابه ووافق تحت شرط التستر عليه

وعدم علم مازن بخيانته له.
كان خير معين لها في تنفيذ مخططها بما له من عقلية جبارة في الشر والإيذاء.
جلب لها أصول الشهادات المزورة الموقعة من مازن، مع الأوراق التي كان يقدمها للبنوك والتي أشرف هو بنفسه على تزويرها عن أصول أراضٍ وعقارات للحصول على قروض من هذه البنوك.
وضع كل هذه الأوراق تحت تصرفها..
ولإكمال مخططها ومعرفتها بطباع فريستها جلبت له ثلاث فتيات جميلات صغيرات السن كما يعشقهن مازن ورتبت معه ترتيب سهرات مجنونة مع مازن.. وتصويرهم بكاميرات فيديو دون علم مازن.
لقنت الفتيات ما سوف يقُلنه في أثناء السهرة وأن يسألنه بإلحاح عن الدكتورة أحلام وهل هن أجمل أم الدكتورة.. تم مخططها الشيطاني بنجاح منقطع النظير وعلى أكمل وجه وكما خططته..
فقد كان مازن في أضعف حالاته النفسية بعد تقلص ثروته وإحساسه بالضياع من هذه الزيجة والصفقة الخاسرة..
فكان لقمه سائغة في يد بهاء والفتيات وعاد لسكره وفجره..
تم تصويره في أوضاع فاجرة.. وتسجيل سبابه وشتائمه للدكتورة وعائلتها..
أصبح جاهزا للنحر..
بسكينة سنية كعموش وعلى مذبحها..
في حديقة فيلتها جلس مازن أمام سنية مكسورا مستسلما لجميع شروطها ووقع على قسيمة زواجه منها..
واعترف بابنه منها..
وحاول أن يقنعها، باستماتة، بالتنازل عن شرطها الأخير لفظاعته..
لكنها استماتت على شرطها ورفضت التنازل عنه..

فوافق على مضض..
على أن يتم في سرية تامة وأن يتستر عليهما بهاء وزوبة حتى ينتهوا من تنفيذ شرطها الملعون..

الفصل الرابع عشر

فوجئت أحلام بمفاجأة لم تتخيلها ولو في ألعن كوابيسها..
فوجئ الجميع بظهور سهير حمدي على المسرح المقام بحديقة فيلا مازن مرتدية بذلة رقص عارية ما تستره من جسدها المثير أقل بكثير مما تكشفه..
رقصت سهير رقصا لم ترقصه في حياتها من قبل..
سحبت مازن إلى المسرح وأخذت ترقص له وتتحرش به وهو ينظر إلى أحلام بإحراج وارتباك ويهز لها كتفيه..
تبتسم له أحلام ابتسامة مطمئنة واثقة..
بعد أن انتهت من رقصتها طلبت دخول إحدى الغرف لتبديل ملابسها..
اصطحبها بهاء خشبة ومعها زوبة إلى الدور الثاني..
نبه بهاء على جميع الخدم بعدم الصعود إلى الدور الثاني..
أدخلها غرفة نوم مازن وأحلام..
تنفيذا لشرطها الأخير في أن تكون دخلتها هي ومازن في غرفة نوم أحلام وعلى سريرها..
تركها بهاء لتُجَهز نفسها مع زوبة لليلة عرسها..

وذهب لإحضار مازن لإتمام الشرط..
أشار له بإيماءة من رأسه حتى لا يلاحظه أحد..
تسلسل مازن دون أن تشعر به أحلام أو أحد من ضيوفه..
صعد إلى الدور الثاني وهو يتلفت حوله ودقات قلبه تتسارع..
دخل غرفه نومه وكأنه يدخلها لأول مرة.. يتلفت حوله في ارتباك..
خرجت زوبة مسرعة لتقف خارج باب الحجرة..
حتى تتمكن الفريسة من تنفيذ شرط صائدها الأخير..
لينقذ بذلك رقبته من بين براثن سنية التي يعرفها حق المعرفة وأنها لن تتوانى عن سجنه وتدميره إذا لم ينفذ شرطها..
هنا صفق إبليس ومريدوه لسنية عندما اكتملت خطتها بواسطة شيطان من شياطين الإنس..
اسمه بهاء خشبة..
وإكمالا للمخطط الشيطاني..
تركهما بهاء في حالتهما تلك ليتما دخلتهما الشرعية..
باحثا عن أحلام..
راسما على وجهه علامات القلق والانزعاج.. وكانت واقفة مع أميرة وبعض ضيوفها.. تركتهم حين أشار إليها..
- ماذا هناك يا بهاء؟ وما كل هذا القلق البادي على وجهك؟
- أعتذر يا هانم على مقاطعتك..
لكني رأيت أن أطلعك على الأمر حتى لا تنزعجي على مازن باشا..
- مازن ما به؟ انطق.. تكلم..
- اطمئني.. مازن باشا بخير..
لقد شعر بوعكة خفيفة ودوار..
فوضعته على سريره بغرفتكما..

وطلب مني عدم إبلاغك حتى لا يفسد عليكِ احتفالك..
لكني وجدت من واجبي إبلاغك حتى لا تقلقي لعدم وجوده.
لم تفكر أحلام لحظة ولم ترد عليه وتركته..
أسرعت مهرولة إلى داخل الفيلا..
تبعتها أميرة حين رأتها تترك الحفل مسرعة..
صعدتا معا إلى الدور الثاني وأميرة تحاول تهدئتها..
اتجهت إلى باب غرفة نومها الذي اختفت من أمامه زوبة.
فتحت الباب بسرعة وقلق.
تجمدت في مكانها كتمثال حجري.
كادت مقلتاها تقفزان من عينيها من هول وفظاعة ما رأته..
تبعتها أميرة وصرخت صرخة مدوية لما رأته..
تراجعت مغادرة الغرفة والحفل..
لمحها ممدوح فلحق بها وحاول تهدئتها وهي تصرخ في وجهه:
- كله خطأ في خطأ.. النظرية خطأ.. وهم.. سراب..
وسقطت مغشيا عليها..

الفصل الخامس عشر

حُفر في ذاكرة أحلام ما رأته كنقش فرعوني على حجر جرانيتي لا يمحوه الزمن..

شُل جسدها وبرزت حدقتاها إلى خارج عينيها وهي تشاهد حيوانا وحيوانة يزاولان الجنس بحيوانية وانحطاط على سريرها وفي غرفة نومها التي تحمل في ذاكرته أجمل وأسعد ساعات عمرها.

تنبهت وعاد لها بعض وعيها حين شعرت بحركة سهير الفجائية..

قفزت سنية وأخذت تقفز عاليا وهي لا ترفع عينيها من على عيني أحلام..

صارخة من أعماق أعماق قلبها الأسود الحقود..

وفي غل مسموم مغلف بشماتة وكيد..

أخذت تردد صارخة وهي تتراقص في نشوى:

- بنت كعموش تكسب الرهان..

بنت كعموش تكسب الرهان..

تنبه مازن لوجود أحلام..

أخذ يقلب نظره ووجهه بين سنية وأحلام..

انتابته «كريزة» من الضحك الهستيري العالي المتواصل..
استلقى على ظهره وهو يشير بيده لأحلام ثم يعود ليشير لسنية في هستيريا..
وما زالت سهير تقفز صارخة.
وهي تردد:
- بنت كعموش تكسب الرهان..
بنت كعموش تكسب الرهان.

الفصل السادس عشر

مر عام على هذا اليوم الملعون..
اعتزلت أحلام خلاله الحياة الاجتماعية والجامعية..
لا يربطها بالحياة إلا شريف، ابن مازن، وقرة عينها.
كانت تشم رائحة مازن فيه. فهو قطعة منه..
كادت الحيرة والتفكير والوحدة تصل بها للجنون..
كانت الأسئلة تتواتر في رأسها في إلحاح وإصرار:
ما الذي حدث؟
ولماذا حدث؟
أين الخطأ؟
هل النظرية خاطئة..
أم هي المخطئة؟
لماذا تمسكت سهير بمازن بكل هذا الجنون؟
هل سهير هي حواؤه التي خُلقت من ضلعه وليست هي؟
هل حبها لمازن الذي ما زال مشتعلا في قلبها خطأ؟
أين الخلل؟
هل هو في النظرية أم في تطبيقها؟

راجعت النظرية مئات المرات.. قرأت كل أبحاثها وكتبها لتجد الخلل وتكتشف الخطأ ولم تصل لإجابة شافية.

فجأة..

تذكرت أن النظرية قد أثبتت صحتها مع أميرة وممدوح..

إذًا الخطأ ليس في النظرية..

عادت لحيرتها..

أين الخطأ إذًا؟

قررت الاستعانة بتوأم روحها وعقلها والمؤمنة الأولى بها وبنظريتها الأضلاع المتجاذبة..

أميرة..

نعم أميرة..

كيف نسيتها كل هذه الفترة الطويلة؟

لماذا لم تأتِ أميرة للاطمئنان عليها؟

اتصلت على الفور بالكلية لتسأل عن أميرة.

تعجبت حين أبلغوها أن أميرة قد تركت الكلية نهائيا.

طلبت عنوان مسكنها وخطت أمامها على ورقة..

باب الشعرية.. الرويعي.. حارة الخواجات.

استقلت سيارة أجرة حتى توصلها للمنزل وتنتظرها لتعود بها.. وقف السائق أمام أحد الشوارع الضيقة وطلب منها النزول والدخول في هذا الشارع الضيق.

حاولت إغراءه بالمال ليدخل بها، لكنه رفض رفضا قاطعا..

غادرت السيارة وهي متعجبة لإصراره على عدم الدخول..

تعمقت داخل الشارع وبدأت تستكشف في ذهول هذا العالم الغريب..

الجميع يتكلمون في صوت عالٍ صارخ..

النساء يتحدثن مع بعضهن من الشرفات في صراخ..
الأطفال يلعبون وهم في صراخ متواصل..
الرجال متراصون على الجانبين جالسين وواقفين في حديث صارخ.. الجميع ينظر ناحيتها في تركيز وتحديق، ما زاد من ارتباكها وخوفها.
اقتربت من أحد المقاهي الذي يصدر منه صوت المذياع عاليا بأغنية لأم كلثوم..
لتسمعها جميع منازل الحي..
سألت صبي القهوة عن العنوان..
فطلب منها صارخا أن تصرخ حتى يسمعها..
أخذت تصرخ وهو يطلب منها المزيد.
صرخت عاليا طالبة منه أن يصف لها عنوان أميرة.
فجأة!
جرى الصبي واختفى من أمامها تاركا إياها في ذهول وسط الشارع الضيق محاطة برجال يرفعون السيوف والسكاكين والجنازير.. يبرز لهم رجال من داخل القهوة وهم يرفعون الكراسي والمطاوي والهراوات..
الجميع يسبون بعضهم بأفظع الشتائم وأحط الكلمات.
شُلت قدماها وتجمد الدم في عروقها.
الجميع يتقاذفها ولا يشعرون بوجودها.. تمر السكاكين والسيوف أمام وجهها.
تخترق أذنيها صرخات النساء المولولة من الشرفات على رجالهن.. امتدت يد لتنقذها وتسحبها بشدة ويحيطها صاحبها بيديه لحمايتها حتى أبعدها عن الخطر.. كانت يد ممدوح.
صرخ ممدوح في غضب وذهول:
- ما الذي أتى بك هنا يا دكتورة؟ كان من الممكن أن تفقدي حياتك في

لحظة دون أن يشعر بك أحد..
أخذت تلتقط أنفاسها المتلاحقة وهي تتشبث بقوة بيد ممدوح:
- ممدوح.. حمدا لله.. لقد أنقذت حياتي..
أين نحن؟ ومن هؤلاء؟ وما الذي يفعلونه ببعضهم؟ وبيعملوا كده ليه؟ ولماذا يصرخون بهذه الطريقة الغريبة؟
- أقبّل يدك يا دكتورة لا.. اتركيهم في حالهم..
هؤلاء من عالم آخر تماما ولا يمت بأدنى صلة لعالمك..
قولي لي الآن.. ما الذي أتى بك؟
والأهم كيف وصلتِ إلى هنا؟ كيف؟
- أميرة.. يجب أن أرى أميرة.
- لماذا يا دكتورة؟ أرجوكِ اتركي أميرة في حالها..
دعيها تعِش حياتها من دون نظريات..
وقد رأيتِ بعينيكِ ما يؤكد طلبي هذا..
ويجب أن تفهمي يا دكتورة.
إن دنيانا أنا وأميرة لها نظريات أخرى..
نظرياتك لا تصلح هنا على الإطلاق..
- أرجوك يا ممدوح.. لا بد أن أقابلها وأكلمها..
أنا سوف أجن.. عقلي سينفجر من كثرة التفكير.
- أمرك يا دكتورة.. سوف ترينها وتكلمينها..
تفضلي معي.. سوف أوصلك عند أميرة لكي تستريحي وننهي هذا الموضوع إلى غير رجعة.
- لكن كيف سنمر والمعركة ما زالت دائرة؟
- لا تقلقي.. لقد انتهت..
- كيف؟

- لقد حضر الحاج زاهر كبير المنطقة وأنهاها.
- وكم عدد القتلى؟
مبتسما:
- لا يوجد قتلى.. ستجدينهم الآن جالسين مع بعضهم يشربون الشاي ويدخنون الشيشة..
ألم أقل لكِ لهذه الدنيا نظريات أخرى لم تمر عليكِ من قبل؟
نظريتك لا وجود لها هنا.. ولن يفهموها.
- لماذا؟ أليسوا بشرا مثلنا؟
- ما رأيك أنتِ؟

الفصل السابع عشر

في شقة الحاج زاهر وفي غرفة الضيوف جلست أحلام ممسكة بيد أميرة في شوق وحب وقد ظهرت على أميرة علامات الحمل..
يجلس بجانبها زوجها مرعي الذي تزوجته بعد انهيار النظرية بداخلها وكفرها بكل ما آمنت به..
تقبل ممدوح الأمر تحت قناعته بفكرة الواقع القدري..
جلس ممدوح بجانب أحلام وفي مواجهتهما تجلس أم مرعي وأم أميرة وأم ممدوح يرحبن بالدكتورة.
ردت عليهن بابتسامة باهتة وهي تحدق في بطن أميرة ثم أمسكت بكلتا يديها وفي صوت مرتعش:
- أنا في حيرة يا أميرة..
ما الذي حدث لي ولكِ؟
لا أعرف، هل العيب في النظرية أم في التطبيق أم في البشر؟
لقد راجعت نظرية الأضلاع المتجاذبة مائة مرة ولم أجد ما يعيبها.
فوجئ الجميع بأم أميرة ترد في حماس:
- والله يا دكتورة.. أميرة دائما في سيرتك وفي سيرة الأضلاع بتاعتك..

كان نفسي أقابلك من زمان وأعرف منك الوصفة اللي بتعملي بيها الضلوع. هي مشوية ولا شوربة؟

تتدخل أم مرعي في الحديث:

- هي نفس طريقة الكوارع؟

ده أبو مرعي ومرعي بيموتوا فيها..

ترد أم ممدوح في أستاذية:

- أنا بعملها لممدوح شوربة عضم ترم عضمه وتقويه.

تركت أحلام يد أميرة والتفتت إليهن في استياء:

- شوربة إيه وكوارع إيه؟ يا هوانم..

نظرية الأضلاع المتجاذبة بتقول...

يقاطعها ممدوح في انزعاج:

- أقبّل يدك يا دكتورة.. إلا هؤلاء المساكين.. اتركيهم في حالهم.. دعي لهم بقايا العقل الذي يعيشون به..

في صوت مرتعش:

- أرجوك افهمني يا ممدوح.. فأنا أرهقني التفكير..

الحيرة من هؤلاء البشر ستورثني الجنون..

أظل أسأل نفسي سؤالا يتكرر بإلحاح..

ولا أجد له إجابة..

لماذا ابن آدم يخون وقد وهبه الله المال والولد والزوجة الصالحة؟

تبا لهذا المخلوق العجيب..

يتصرف تصرفات لا تتفق مع منطق أو عقل..

وما الذي جعل مازن يخون وهو لا ينقصه شيء؟

وكيف استطاعت سهير أن تفعل ما فعلته بهذه الهمجية والجبروت والوحشية؟

أمسك ممدوح بيدها برقة وقد شعر بكل ما تقاسيه من لوعة وعذاب:
- الإجابة سهلة وبسيطة يا دكتورة..
خالق البشر..
هو وحده أدرى بخلقه والإجابة الشافية لديه..
في عالمنا هذا الذي ترينه لأول مرة في حياتك..
وتجلسين وتتكلمين مع ناسه وأهله..
عندما نحتار في تصرفات الخلق..
نقولها بلغة عالمنا:
دع الخلق للخالق..
ونريح أنفسنا.
أما فطاحل المثقفين أمثال حضرتك يا دكتورة..
فيقولونها بلغة فخمة في ندواتهم ومجادلاتهم..
ولله في خلقه شئون..
تأخذ أحلام نفسا عميقا في ارتياح شديد وتلقي برأسها للخلف ثم تعتدل فجأة..
تنظر في وجه ممدوح بإعجاب وامتنان..
- أنت لا تعلم ماذا فعلت بي بكلامك هذا..
لقد أزحت كابوسا كان رابضا على صدري وحياتي وأعمى بصيرتي وكاد يُذهب عقلي..
نعم صدقت..
ولله في خلقه شئون..

الفصل الثامن عشر

بعد أن اطمأنت على فلذة كبدها وسبب مواصلتها تلك الحياة التعسة عادت لغرفتها ومحبسها الاختياري وقد ازدادت الأسئلة الملحة تلاطما بعد ما مرت به ورؤيتها لعيني أميرة وقد انطفأ فيها البريق والتوهج والإقبال على الحياة..

تزاحمت الأسئلة في رأسها: لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

طرق أذنيها طرق خفيف على الباب..

أخرجها صوت أبيها من حالتها تلك وهو يستأذن في الدخول..

لاحظت علامات الارتباك عليه.. وشعرت من صوته المرتعش بقدوم كارثة..

وقع بصرها على الجريدة التي يحملها في يده المرتعشة..

فمدت يدها لتتناولها وفوجئت به يبعدها وفي صوت مرتعش:

- لي كلمتان قبل أن تقرئي ما في الجريدة..

يجب أن تتأكدي وحسب وعدي لكِ بألا يمسه سوء من ناحيتي أو من إخوتك..

وأن ما حدث ليس لنا به علاقة من قريب أو بعيد..

اختطفت الجريدة من يده وأخذت تقلب نظرها على عناوينها الرئيسية في لهفة ورعب..

وضعت يدها على فمها لكتم صرختها عندما قرأت:

انتحار المنتج والخبير السياحي مازن فتح الباب برصاصة في رأسه..
دخول سهير حمدي مستشفى الأمراض العصبية والنفسية..
بهاء خشبة مدير أعماله بين الحياة والموت..
مادت الدنيا تحت قدميها ودارت بها الغرفة ووقعت مغشيا عليها..
لم تدرِ حين أفاقت من غيبوبتها كم من الوقت غاب عنها وعيها..
انطلقت في بكاء هستيري، انزعج أبوها وطمأنه طبيبها أن يدعها تبكي..
فوجئ الجميع بتوقفها عن البكاء وهي تحاول الوقوف على قدميها وتطلب ملابسها.. وسألها أبوها في توسل:
- أين تريدين الذهاب وأنتِ في هذه الحالة؟
- أريد أن أقابلها..
- من هي؟
- سهير.. يجب أن أعرف ما حدث.. فمثل مازن لا يُقدم على الانتحار.. فهو عاشق للحياة..
- لكن سهير قد أصيبت بصدمة عصبية وجُنت تماما ولن تفيدك بشيء..
- إذًا سأقابل بهاء وأعرف منه الحقيقة..
- للأسف يا ابنتي.. بهاء قد أُجريت له عملية في ظهره لإخراج الرصاصة.. وقد كانت نتيجة العملية شللا كاملا.. وعندما أفاق تم أخذ أقواله المؤيدة لكلام سهير في أن مازن هو من أطلق الرصاص على رأسه.. وفي أثناء محاولته منعه خرجت رصاصة أصابته في ظهره.. ولن تفيدك مقابلته في شيء..
عادت وتمددت على سريرها وهي تردد:
ولله في خلقه شئون..
ولله في خلقه شئون..
ثم نامت نوما عميقا..

الفصل الأخير

لا تدري ما الذي حدث بداخلها من هدوء ومصالحة مع النفس..
قررت العودة ومواجهة الحياة بقلب مؤمن بالله وقدرته..
كانت كلما تنتابها الذكريات المريرة تردد بإيمان يقيني:
- ولله في خلقه شئون..
جلست بغرفتها بالجامعة تستقبل زملاءها وطلابها وهم يهنئونها بالعودة.. وهي ترد عليهم بابتسامة باهتة..
دخل عليها الساعي حاملا خطابا.. تسلمه نيابة عنها عميد الكلية لحين عودتها..
تعجبت وأخذت تقلبه لتعلم مصدره أو من أرسله.. فلم تصل لشيء..
زادت دهشتها حين فتحته.. ولم تجد به خطابا مكتوبا.. بل وجدت قرص «سي دي».
ألقت به في إهمال بشنطتها وقد ظنت أنه يحمل بحثا جديدا لزميل أو معيد من تلاميذها.. كالعادة..
فقررت مشاهدته حين عودتها للمنزل..
بعد أن استراحت وضعت الـ«سي دي» بتكاسل في اللاب توب لتعرف على الأقل مرسله..

قفزت في فزع حين سمعت صوت بهاء خشبة.. أوقفت الجهاز وأخذت تلتقط أنفاسها.. وتهدئ من روعها.. وتناولت حبة مهدئة..
بعد أن استوعبت الصدمة.. مدت يدها المرتعشة.. وواصلت سماعها لصوت بهاء الضعيف المتقطع لاهث الأنفاس..
- لقد قررت أنك الوحيدة التي من حقها أن تعلم حقيقة ما حدث..
لن أستطيع الكذب وأنا بين أيدي المولى عز وجل..
بعد الجريمة البشعة التي حدثت في غرفتك وعلى سريرك وإجبار سهير لمازن على الزواج منها..
أرادت أن تُكمل خطتها الشيطانية بأن تستولي على ثروته، وشاركتها في الاستيلاء على شركة الإنتاج وعدم دفع أقساط البنك.. فحجز البنك على بواخره..
كشف مازن بذكائه الإبليسي ما خططناه ونفذناه..
بعد تأكده بالبراهين والمستندات.. أرسل لي بمكتبه.
فوجئت به يهددني بمسدسه وواجهني..
اعترفت وقصصت عليه كل شيء..
فجأة..
وفي لحظة قدرية..
دخلت سهير علينا ورأت المسدس في يد مازن..
نظرت في عين مازن وعيني فشعرت بانكشاف أمرها.. فحاولت لصق جميع التهم بي وأخذت تقترب منه ودموع التماسيح تنزل مدرارا من عينيها..
ثم هجمت عليه محاولة خطف المسدس من يده.. فانطلقت رصاصة في ذات اللحظة التي حاولت الهروب فيها من الغرفة.. فأصابت ظهري.. ونجحت في أخذ المسدس عنوة منه.. ووضعته في جانب رأسه.. وفي

لحظة غباء رجولية من مازن.. صرخ في غضب:
- أنتِ طالق.. طالق..
دون أن تشعر أطلقت رصاصة على رأسه.. ووضعت المسدس في يده حتى يظن من يراه أنه من أطلق الرصاص على رأسه لينتحر..
تراجعت بظهرها وأخذت تنظر لكفيها الملطختين بالدماء وهي تصرخ في جنون:
- لن تأخذك مني امرأة أخرى.. لن تأخذك مني أحلام ثانية..
بعدها غبت عن الوعي..
سامحيني.. حتى يسامحني الله..
فقد انتقم الله لكِ من أبالسة الأرض..
أغلقت أحلام الجهاز.. وأخرجت الـ«سي دي».. أخذت تنظر إليه..
ثم حطمته وكسرته لعدة أجزاء.. وهي تردد:
ولله في خلقه شئون..
ولله في خلقه شئون..

(تمت)